مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

واقع ومستقبل الدراسات الاجتماعية و الإنسانية العربية

أ.د نور الهدى حماد

قسم الخدمة الاجتماعية- جامعة طرابلس.

ملخص الورقة:

اثار موضوع واقع ومستقبل الدراسات الاجتماعية و الإنسانية في الفكر العربي المعاصر إشكالات نظرية وتطبيقية متعددة معظمها يرتبط بأسئلة المعرفة العلمية في الثقافة العربية والمجتمع العربي وكثير منها يتصل بنوعيات الممارسة العلمية، و تطلب ذلك ضرورة الانفتاح على استخدام مُعطيات التّقنية التكنولوجية الحديثة ،وأدوات الاتصال، ودقائق المناهج الإحصائية وإدخالها إلى دوائر العلوم الإنسانية ،والاجتماعية المعاصرة موضوعا ومنهجا ووسيلة جديدة يستخدمها الباحثون في أبحاثهم من أجل تفعيلة هذه العلوم في واقعنا، والقضاء على معوقاتها فمناهج ومدارس العلوم الإنسانية، والاجتماعية المصدرة الينا من المجتمعات الغربية تثمر في واقعنا بقدر ما نمتلك من مقدرة على استيعابها وتقريب أدواتها إلى مجالاتنا التداولية فالعلوم الإنسانية ،والاجتماعية في بحوثها اليوم لا تطرح الأسئلة التي لها صلة بواقعها وإنما تجيب عن أسئلة مفصولة، وهذا هو سر ازمتها و عجزها عن إحداث التنويرالمعرفي وتغييره وعليه فان هذه الورقه تهدف الى بيان واقع الدراسات الاجتماعية و الإنسانية والعربية و كيفية نجاحها وتفعيلها لإسكانها فى الفضاء المعرفى ،والثقافى الذى تشتغل فيه تجاوزا للانفصال بينها وبين البيئة الملازمة لها لتحقيق التنمية المتكاملة والمنهج المستخدم هو المنهج الوصفى التحليلى الذى اعتمد على رصد الواقع من خلال تحليل ومناقشة المحاور التالية: (واقع الدراسات الاجتماعية والإنسانية- المعوقات التى تواجهها - تفعيلها لتحقيق التنمية المتكاملة) . وخلصت الدراسة الى انه يجب إعادة النظر في منطلقاتها ومناهجها والتحذير من النظر الى هذه الدراسات بروح سلبية مطلقة فهى سلاح ذو حدين وتقع على العلماء الاجتماعيين العرب مسؤولية اجراء الدراسات الجادة الهادفة والقادرة على مخاطبة الواقع وأبعاده باعتبار ان الدراسات الاجتماعية والإنسانية العربية هى جزء لا يتجزأ من النهوض المجتمعى العام.

وأوصت الدراسة بضرورة التعامل مع مدارس العلوم الاجتماعية ،والإنسانية الغربية المختلفة بصورة تجعلنا نتعلم منها، ونعيد إنتاجها ونساهم في تطويره ، وليس هذا الأمر بالهين ولا المتيسر ومع ذلك فنحن مطالبون بانجازه أي مطالبون بمواصلة عملنا وبحثنا في إطاره من أجل أن نساهم في ترسيخ دروس العلوم الإنسانية في فكرنا، ونعمل على تأصيلها وتوسيع دوائر تعميماتها بحس نقدي وبجدلية دون أن نغفل أن بلوغ عتبة الإبداع في هذا المضمار تقتضي أولا وقبل كل شيء أن نقضى على معوقاتها و نستوعب المنجزات القائمة، التى حققتها جهود الآخرين ممن سبقونا في الدراسات الاجتماعية والإنسانية.

مقدمة:

إن الوضعية المقلقة التى تعيشها الدراسات الاجتماعية والإنسانية ، والناتجة ، بسبب التفسير المتداول من المؤسسات العلمية والحياة الثقافية ،والفكرية غير مرضية فليس من باب المصادفة او القدرية ان نلمس الفتور نفسه عند المشتغلين بهذه الدراسات فى مناطق جغرافية أخرى وتحت أنظمة سياسية مختلفة ، حتى وان تنوعت من حيث المظهر والاتساع والحدة . هذه المعاينة تدعونا الى تجاوز التحليل الجغرافى الضيق والأخذ بتحليل أوسع للوقوف على مظاهرها ،وأسبابها ومعوقاتها و كيفية نجاحها وتفعيلها لإسكانها فى الفضاء المعرفى ،والثقافى الذى تشتغل فيه تجاوزاً للانفصال بينها وبين البيئة الملازمة لها لتحقيق التنمية المتكاملة.

❖ مفاهيم الدراسة :

فى الواقع يجب ان نفهم أولا كيف تحول هذا العلم الذى أراده "اوجست كونت " تتويجا للعلوم ، الى علم فى آخر القائمة مهمش علميا ومنتقص اجتماعيا ،وسياسيا.

يرى الباحث بجامعة عنابة بالجزائر "عبد الرزاق جلالى" ان مشكلة الدراسات الاجتماعية ، والإنسانية ظهرت منذ صياغته واستقلاله معرفيا عن الفلسفة وان استقلاله لم يتم إلا فى مرحلة متأخرة جدا حتى فى البلد الذى "انجب"فيه[1] ويشير الباحث الى الحملة التى شنها "شارل بيغى" عندما اعتلى "دوركهايم" كرسى علم الاجتماع فى جامعة السوربون ،حيث هاجم بشدة هذه الجامعة التى سقطت، بحسب اعتقاده ، بفعلها هذا فى الكلامية إذ كتب فى كراس جامعة السوربون الثالث ، المجلد الثامن ، تاريخ ٤ نوفمبر ١٩٠٦م موجهاً كلامه الى "دنيال هليفى" [2] أحد الاساتذة بالجامعة قائلاً: "اناس لم يدرسوا العلم مطلقا ولا يعرفون عنه كلمة ، لم يدرسوا قط الرياضيات والفيزياء الكيمياء ،والبيولوجية فوقعوا فى خطأ فادح إذ اعتبروا الشمع نورا والآداب علوما وبهذا سيضيعون الآداب ولا يتحكمون فى العلم[3]. اما عن مفهوم الدراسات الاجتماعية

---

[1]- لم تنفصل شهادة الليسانس فى علم الاجتماع عن الفلسفة فى فرنسا إلا عام ١٩٥٨م.

[2]- كان رئيس جامعة اسوربون وأحد أساتذتها البارزين.

[3]- نقلا عن عبد الرزاق جلالى،علم الاجتماع بين الالتزام والأداتية،مجلة المستقبل العربى ، يصدرها مركز دراسات لوحدة العربية،العدد١٤٦ لعام ١٩٩١م ،ص.٨٣.

والإنسانية والتى تعتبر من اكثر ميادين المعرفة غموضاً يمكن ارجاع ذلك الى عدم الفهم الواضح لمفهومى الدراسات الاجتماعية والإنسانية ،و العلوم الاجتماعية فالأخيرة يختص بها الباحثون والعلماء لتطوير المعرفة فى ميادين التاريخ ، والجغرافيا ، والسياسة ، والاجتماع ، والأنثروبولوجيا اما الدراسات الاجتماعية والإنسانية فهى ذلك الجزء من العلوم الاجتماعية الذى يستخدم لأغراض تدريسية وهى عبارة عن مجموعة من المعارف جمعها الانسان من دراساته من اجل احداث التغير المقصود والموجه والساعى لنمو وتطور المجتمع وعليه نجد ان هناك فرقا بين المصطلحين ومن وجهة نظرى ان مصطلح الدراسات الاجتماعية والإنسانية هو الأشمل لأنه يشير الى مجال المعرفة الواسع وبالتالى نجد ان القيمة الاجتماعية هى الأمر الجوهري فى العلوم الاجتماعية أما فى الدراسات الاجتماعية فالقيمة التعليمية هى الأمر الجوهرى. وعن اختلاف الدراسات الاجتماعية والإنسانية عن الدراسات الطبيعية فالأخيرة تطورت إلى مرحلة أبعد بكثير من تطور الدراسات الاجتماعية والإنسانية فى الحاضر وعلى ما يبدو ظاهرياً فى المستقبل فالعلوم الطبيعية تعتمد على الطريقة المحسوسة القائمة على التجريب والاستقراء ،والقياس ،والتطبيق للتأكد من صحة النتائج التى يتم التوصل اليها ،و الدراسات الاجتماعية والإنسانية قاصرة عن بلوغ هذا المستوى فهى تكتفى بالدراسات المسحية والمشاهدة للوصول إلى نتائج ،وتحليلات غير مضمونة وعرضه للتغير والنقد بين الحين والآخر على الرغم من استخدامها لأحدث المبتكرات التقنية وذلك لان الإنسان الذى هو وحدة الجماعة والجماعة التى هى وحدة المجتمع هو صميم الدراسات الاجتماعية والإنسانية بينما الظواهر والأشياء هى موضوع العلوم الطبيعية وهذا ما جعل الدراسات الاجتماعية والإنسانية فى أزمة.

❖ واقع الدراسات الاجتماعية والإنسانية:

إن الأزمة الكبيرة التي تواجهها الدراسات الاجتماعية ،والإنسانية الان فى المجتمعات العربية تكمن في محاكاتها لما هو معمول به في الغرب فهى منشأها غربى بسبب التكوين الأولى الذى ارتبط مباشرة فى كثير من البلدان بالاستعمار أو بسبب الارتباط الطوعى – ظاهريا – بالمدارس الغربية وعدم الجرأة في انتهاج طرق أخرى للوصول إلى الحقائق العلمية ان المتأمل فى تاريخ الدراسات الاجتماعية الغربية يجدها

ارتبطت منذ بدايتها بالسياسة العامة للمجتمع .فدور الاقتصاديين والاجتماعيين ابان القرنين السابع والثامن عشر كان سياسيا فى تأثيره على الدولة والمجتمع والمحاولة الاولى النظامية والحديثة لحشد طاقة الدراسات الاجتماعية من اجل دراسة المجتمع واكتشاف حلول لما يعانيه من مشكلات بدأت فى الولايات المتحدة فى عام ١٩٢٩ عندما شكلت لجنة رئاسية هدفها بحث الاتجاهات الاجتماعية فى المجتمع الامريكى وقد قامت اللجنة بصياغة استنتاجاتها عام ١٩٣٣ م فى وثيقة عرفت باسم "الاتجاهات الاجتماعية الاخيرة " هكذا بدأت الدراسات الاجتماعية تشكل بعلاقتها مع الدولة الغربية ،سلاحا هاما فى مواجهة جميع اشكال اللاواقعية والفرضيات الخاطئة النابعة من اصحاب القرار الذين عادة ما تأخذهم الممارسة السياسية اليومية بعيدا عن الرؤية الشاملة والبعيدة الأمد[4].وفى المجتمعات العربية نجد ان معظم الباحثين الأوائل في الدراسات الاجتماعية والإنسانية هم في الأغلب من خريجي الجامعات الغربية وكثير منهم يحبذون ان تكون الدراسات الاجتماعية ،والإنسانية فروعا من العلم التجريبى الطبيعى ويتناسى هؤلاء أن العلم ليس إلا نشاطاً إنسانياً يتأثر في بناء منهجه وتوجيه بحوثه بما تتأثر به الانشطة البشرية الأخرى ، وانه إن كانت الأنشطة العلمية والبحثية تتميز بالفعل عن غيرها من الأنشطة البشرية بأن هدفها المقصود هو الضبط الواعي للنشاط الفكري الإنساني فالعلم والمنهج لم يصلا بعد (وقد لا يصلان ابداً) إلى ذلك المستوى من الصدق الذي يتوقه الباحثون الجادون وهذا ما يحدث فعلا فالبحوث الامبيريقية التى تجرى فى مجالات الدراسات الاجتماعية والإنسانية الآن انما تصدر وتجرى أصلا متأثرة بتلك المفاهيم والأُطُر والمقولات النظرية الوافدة – لنا من الغرب لقد أخذنا المفاهيم والأُطُر والمقولات النظرية الغربية كقضايا مسلم بها وقواعد علمية ثابتة لا يجوز نقدها او تحليلها أو الشك فى مدى سلامتها و ملاءمتها لأوضاعنا ،ولظروفنا ،ولنمط الحياة الاجتماعية القائمة بالرغم من انها قد انبثقت أصلا من بيئات وظروف مخالفة لنظيراتها لكنها سادت لدينا وانتشرت ووجدت طريقها نحو الذيوع كأمور ونظريات علمية مستحدثة لا يجوز الخوض فى مدى سلامتها ، وذلك اعتقادا بأنها آتية من مجتمع متقدم ولازال هذا التوجه العلمي

---

[4]– شفيق الغبرا،معوقات البحث فى العلوم الاجتماعية العربية،مجلة العلوم الاجتماعية،المجلد السابع عشره العدد الثالث،الكويت،ص٢١٩ [4]

هو السائد حتى اليوم في الدراسات الاجتماعية والإنسانية ،وتدريسها وتطبيقها في الجامعات ،والمؤسسات البحثية فى المجتمعات العربية وهذا الأمر وضع الدراسات الاجتماعية ،والإنسانية فى مأزق فكرى وطريق مسدود ،وآثار كثير من الجدل ،و تطلب وقفه جادة لإعادة النظر فى كل تلك المسلمات النظرية ،والنظر إليها بشكل نقدى ،وموضوعى فالعديد من النظريات الغربية قاصرة ومعادية تحركها دوافع كامنة ونحن امام هذا الواقع مطالبين باستخدام آلية في الاحتراس النظرى والمنهجي تمنحنا جدارة النقل الذي لا يكتفي بنسخ النماذج المعرفية دون مراعاة خلفياتها النظرية ،وشروطها التاريخية بل النقل الواعي الذى يجنبنا عثرة السقوط في التقليد ويؤمن بتنوع المجتمعات ،والقيم ،والتواريخ وهذا يستلزم بالضرورة إعادة تكييف النظام المعرفي .نحن نعيش وضعاً خاصاً في تاريخنا المعاصر وعندما نقيس هذا الوضع على الأوضاع السائدة في الغرب الأوروبي ندرك أشكال التفاوت ألقائمة لكننا بإدراكنا للمتفاوتات القائمة والمنتظرة نتعلم كيفية إيجاد المخارج المناسبة لرسم طريقنا الخاص في مجال الكشف العلمي في دراستنا لظواهرنا الاجتماعية والإنسانية.

إن التسلسل الزمنى لا يعنى وصف حُقب متتالية فقط ولكن كل حُقبة تتسم بطريقة ومع تحول المجتمعات العربية من حُقبة إلى حُقبة ظهرت فى مجال الدراسات الاجتماعية والإنسانية اعداد هائلة من الكتابات إلا أن الإضافات تكاد تكون معدومة فمن شروط تطور المعرفة أن تكون تراكمية ، تبدأ دوما مما أنتهى اليه السابقون[5] لكن هذه الميزة ضعيفة فى الدراسات الاجتماعية والإنسانية وقد يرجع ذلك لعدة عوامل منها :

- صعوبة الوصول إلى الحقيقة المطلقة فى الدراسات الاجتماعية والإنسانية:

من الضرورى التمييز بين المعرفة الناتجة عن الدراسات الاجتماعية والإنسانية والمعرفة الناتجة عن الحس المشترك والفيصل بينهما هو المنهج. والمنهجية يؤسسها بعدان يسموان بالمعرفة الاجتماعية هما:

-البعد الأول : إنتاج وإعادة إنتاج مجموعة من المعارف.

---

[5]- خاف محمد الجراد،التغير الاجتماعى وطبيعة البنية الاجتماعية المجتمع العربى نموذجا،مجلة الفكر العربى،العدد التاسع والسبعون،معهد الإنماء العربى،ص٢٨. [5]

– البعد الثانى : وهو البعد الاجتماعي الأيديولوجي الذي يتأتى من كون الباحث هو من صميم المجتمع الذي يبحث فيه. فالباحث له خلفية خاصة وإيديولوجية معينة مما يضفي النسبية على البحوث الاجتماعية ويصعب معها الوصول إلى الحقيقة المطلقة.

- مسألة الانتماء النظرى الذى يفتقر إلى الربط بين نظرية واضحة وواقع ملموس.

لقد حان الوقت لعلمائنا ان يعيدوا النظر فى كثير من المداخل والقوالب النظرية الجامدة والتى تعبر عن واقع مجتمعات تختلف جوهرياً فى ظروفها الاقتصادية والاجتماعية ،والثقافية ،والسياسية ،والبيئية عن مجتمعاتنا ومن ثم فان رؤيتنا ضرورى ان تنطلق من التركيز على الخصوصية ولا يعنى ذلك الانغلاق او العداء والانعزال او التقوقع وإنما يعنى ببساطة التركيز على خصوصياتنا مع الوعى بأن أى تغيرات تطرأ على المستوى العالمى سوف تنعكس بشكل مباشر أو غير مباشر علينا.

الدائرة الخبيثة لاعتمادية الدراسات الاجتماعية والإنسانية على الغرب

- – غياب منظومة القيم :

لابد من اختيار منظومة قيمية تعكس امتداد التراث المتغير وتستوعب أفضل العناصر الفكرية التى تتصل بمصالح الاغلبية وحاجاتها ثالوث مقدس يضم التراث المتغير والفكر المتقدم والاتصال بمصالح الاغلبية[٦].

- الخصائص التى يتسم بها بعض المتخصصين العرب.

لقد نتج عن البيئة غير المشجعة للدراسات الاجتماعية ،والإنسانية بروز ما يطلق عليه بالرقابة الذاتية بين الباحثين ، ولهذه الرقابة كثير من النتائج السلبية فعلى سبيل المثال يجد كثير من الباحثين أنفسهم حين تناول موضوع مهم مضطرين لإخفاء البعض أو الكثير من نتائج أعمالهم. فيتعلمون فن استبدال الجمل والفقرات والأفكار بأخرى ، أى أنهم يُتقنون فن تزييف الواقع وقد يرجع ذلك للخوف من فقدان وظيفة أو التعرض لمضايقات ، وبالتالى يصبح الباحث فى قطبى متناقضتين خوفا من أن يساء

أبراهيم عبد الرحمن رجب ،تنظيم المجتمع أسس نظرية وتطبيقات عملية،الرياض ، دار عالم اكتب ،١٩٨٦م،ص٣٠٣. [6]

فهمه أو أن يغضب أصحاب السلطة و النفوذ أو أن يتهم بفقدان الولاء الوطنى ، وبالتالى يتخبط بين الأكاديمية والأمانة العلمية من جهة ، والمسايرة الاجتماعية والسياسية من جهة أخرى ، ويترتب على ذلك اختيار مواضيع هامشية لا تتواصل مع مشكلات المجتمع ، كما أن كثير من الباحثين تخصصوا بإسماع رؤسائهم لغة التوافق والطاعة وتحولوا من باحثين هدفهم اكتشاف ما هو جديد ومفيد لخدمة المجتمع إلى متخصصين بالحفاظ على مناصبهم ، بل الأسوأ أنهم يتحولون لخبراء بنفسية رؤسائهم فيعرفون ما يقولون متى وكيف ، و ذلك بإعادة صياغة التقارير لتتناسب والخطوط العريضة لتفكير رؤساءهم[7].

ويأتى ضغط المجتمع ليبدأ الباحث بالانغماس فى عالم الواجبات الاجتماعية والمسايرات ،والمجاملات ،والزيارات ،والعزومات والعادات والتقاليد ، فيهرب نحو الالتزامات الاجتماعية والأسرية ويكتشف ان ما تلقاه على مقاعد الدراسة وفور بدايته العلمية وما تحصل عليه من شهادات تضفى على ذلك الدور شرعية ، و ويرى أن ما اكتسبه من عادات بحثية مميزة وأنماط سلوكية قائمة على الاحتراف من تعلم الصرامة مع النفس واحترام الوقت وفن الإصغاء والانفتاح على الأفكار والوسائل والتوجهات ، قد بدأ فى مواجهة أزمة حقيقية تظهر فى علاقته مع علمه وسلوكياته وما اكتسبه ويفاجأ بأن أغلبية المواضيع التى سيقوم بتدريسها منقولة عن المصادر الغربية دون أدنى إبداع أو أقلمة ، ويكشف أن هذه المصادر تكرر نفسها أو أنها الوحيدة من نوعها ،ويجد أن المواد التى تعالج القضايا المحلية تتميز بطغيان الحيز النظرى وقلة المعلومات ،وعدم شموليتها وبالتالى يبدأ رحلة الفقر الفكرى الذى تعانى منه الدراسات الاجتماعية والإنسانية من تخلى بعض الباحثين عن موضوعات مهمة نتيجة لضغط سياسى أو اجتماعى مما يفقد الدراسات الاجتماعية والإنسانية نقاط قوتها وتصبح منفصلة عن المجتمع .

❖ المُعوقات التى تواجهها الدراسات الاجتماعية والإنسانية:

تعانى الدراسات الاجتماعية والإنسانية من عدة معوقات تؤثر على دورها فى خدمة المجتمع ويؤدى استمرار هذه المعوقات إلى حالة إفقار وتراكم للمشكلات المجتمعية وبالتالى نجدها تتحول باتجاه العزلة وفقدان الاستقلال.

---

[7]- السيد على شتا،الكتاب السنوى للعلوم الاجتماعية،الاسكندرية ،مؤسسة شباب الجامعة،١٩٩٣م،ص١٥.

إن القول بوجود معوقات للدراسات الاجتماعية والإنسانية لا يعنى أن الدراسات الاجتماعية فى نقطة الأزمة المطلقة ، فالدراسات الاجتماعية والإنسانية فى محاولاتها تجاوز الأزمة عن طريق مساهمات العديد من الباحثين العرب المُتحلين بالجدية سعياً للنمو لكن هذا النمو بطيء ويتحرك بصعوبة نتيجة للعديد من العوامل المهمة ، والتعرض لهذه العوامل يدخل فى سياق الحوار حول جدوى هذه الدراسات ، فهناك من ينظر الى هذه الدراسات على أنها ليس لها فائدة وإذا تركنا جانباً أزمتها مع النظرية والمنهج والتى سبق وان تعرضنا لها فى الحديث عن واقع الدراسات الاجتماعية والإنسانية نجد أن هناك خصائص عامة معوقة للدراسات الاجتماعية والإنسانية تساهم فى افقارها ومنعها من تأدية رسالتها لخدمة ونمو المجتمع و مساعدة افراده على اشباع احتياجاتهم ومن هذه المعوقات:

- البيئة الثقافية والسياسية فى المجتمعات العربية:

إن تخلف الدراسات الاجتماعية والإنسانية فى المجتمع العربى مرتبط بالعديد من العوامل مثل نقص الموارد المخصصة للدراسات ، وغياب دور المراكز ،والمؤسسات التى ترعى البحوث والدراسات ، وضعف المكتبات ، وهى أمور مُعوقة للدراسات ، كما أن سوء الفهم لمهمة الباحث ولآفاق البحث قد تكون معوقا ، فإذا قام باحث بدراسة مشكلة ما ولتكن مشكلة البطالة فى المجتمع قد يبرز له من يقول هذا منددس يحاول تشويه صورة مجتمعنا ، وكذلك لو أراد دراسة ظاهرة مثل مشكلة الفقر ومعرفة أنماطه.

إن المتأمل فى خريطة العالم اليوم يرى أنها أصبحت جزيرة للأغنياء تحيط بها بحار من الفقراء ، والجدير بالذكر هنا إن البنك الدولى والبرنامج الإنمائى يخفى الأسباب الحقيقة للفقر فى العالم والتى قد تظهر فى الاستغلال الاقتصادى ،والنهب الدولى الذى يستخدم أدواته المختلفة (القانون والسياسة والدين والإعلام) ان المسئول العربى اليوم غير قادر على أن يقدر سوى الحقائق الإيجابية ، أما السلبية فلا يريد ان يسمع بها ،

وهذا يعتبر مدخل ذهنى للهبوط لا للتقدم والرقى ، ومُعوق من مُعوقات البحوث والدراسات الاجتماعية والإنسانية[8].

-بيئة الباحث المحلية :

من مُعوقات الدراسات الاجتماعية والإنسانية ، البيئة التى ينتمى اليها الباحث ،والتى تظهر جلياً فى هذه الدراسات على العكس من الدراسات الطبيعية ، فالباحث وحسب رأى د.الرميحى قلما يتشجع على الرأى المخالف، أى أن البيئة الاجتماعية لا تشجع على التجديد نظراً للحساسية المرتبطة بالنقد الاجتماعى.فهناك نظرة شائعة لدى بعض السياسيين مفادها أن الباحثين فى الدراسات الاجتماعية هم محرضون اجتماعيون وأصحاب دعوة ، وهذه النظرة ترجع أساسا لتعامل الدراسات الاجتماعية والإنسانية مع المجتمع الذى يعتبر من وجهة نظر "كونت "مصدر القوة الاجتماعية ، فهو وحدة حية ومركب معقد.ومن وجهة نظر سبنسر عبارة عن كائن عضوى ومركب عضوى يشبه الجسم الحى[9]. ودراسة أية من مشكلاته تستمد أسسها العلمية من طبيعة تلك المشكلات وما يحيط بها من خصوصيات. وهذا بالطبع يجعل خيارات الباحثين بين مختلف المنطلقات العلمية ،والمنهجية يختلف باختلاف الموضوعات التي يتصدون لبحثها وسياق الواقع الثقافي،والاجتماعي المحيط به.

-النظرة المسيطرة والرافضة للإبداع والتجديد الفكرى:

فالأسرة على سبيل المثال ومنذ البداية تشجع على المسايرة والطاعة ،والتلقين والفرد المؤدب هو الذى يستمع ولا يناقش ،ويوافق على ما يقال له ، حتى لو لم يقتنع به ، إنه المخلوق الذى يتعام التنازل عن فرديته كطفل للحد الذى يعيش بقية عمره باحثاً عنها[10] والمدرسة تأتى لتساهم باللانقدية ، وذلك عبر تشجيع طرق التدريس القائمة على الحفظ والتلقين والكاتمة لأى نقاش أو تقويم أو صياغة ذاتية ،أو حب استطلاع وتساؤل

---

[8]- مفيدة خالد مصطفى الزقوزى،أنماط معيشة الأسر الفقيرة،رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة القاهرة ٢٠٠٨م، ص١.

[9]- احمد زايد، نحو سوسيولوجيا نقدية لدراسة المشكلات الاجتماعية،مجلة المستقبل العربى ، العدد ١٤٦، ١٩٩١،مركز دراسات الوحدة العربية ص ١١.

[10]- المرجع السابق ص١٢.

.فالتعليم فى مجتمعاتنا العربية معزول عن المجتمع ومشكلاته ، إذ أنه يركز على المعلومات لا على إرساء الأسس العقلية التحليلية النقدية[11] مما يمثل إنفصاماً فكرياً وإغتراباً علمياً وينعكس ذلك سلباً على الدراسات الاجتماعية والإنسانية.

- المجتمع وأجهزته ومؤسساته :

يأتى المجتمع بأجهزته ومؤسساته ورموزها وأموالها لتكمل دور الأسرة ،والمدرسة فتعيد إنتاج القيمة الاجتماعية اللانقدية ، وقد أدى تركيز النخبة السياسية الإدارية لحاجتها لسماع المديح الدائم من أفراد المجتمع ، وهكذا تولدت سلوكيات أساسها المديح فتتحكم بالعلاقات بين جميع المرؤوسين والرؤساء فى كافة إرجاء المجتمع والدولة ، بل حتى الكتب المدرسية لأطفال المدارس تحوى الكثير عن الدولة على حساب الفرد ، فالدولة تشعرك عبر مناهجها المدرسية فى كل ساعة من حياتك بما تقدمه لك ...فالخبز تشرف عليه الدولة ، واللحم الصحى تشرف عليه الدولة ، والشارع الذى تقطنه تشرف عليه الدولة ، والمدرسة التى تتعلم بها أقامتها الدولة أيضاً[12].

- الجزئية فى الدراسات الاجتماعية و الإنسانية ونسبيتها :

تفترض الدراسات الاجتماعية والإنسانية أن لكل دراسة حدودها ، وبما أن هذه الدراسات لا تتم داخل مختبر وتتعرض لحقائق متبدلة ومتفاعلة ، فالدراسات الاجتماعية والإنسانية لا صحة لها إلا بعلاقتها فى الحدث السابق لها ، وهذا مهم أيضاً لفهم علاقة الدراسة الواحدة بتسلسل الأبحاث وسياقها بالمعنى العام ، أن كل دراسة ترتبط بعدد الأسئلة الجديدة التى تطرحها والأفاق الواسعة التى تفتحها . وبالتالى قد يأتى بحث يركز على أثار بطالة المرأة على المجتمع ، ويأتى اخر ليركز على دورها كمعوق فى مجال الإنتاج ، وكل بحث يستند على إطار نظرى يختلف عن الأخر ، وبالتالى لا يسعنا تكوين فهم جيد لدور المرأة ومساهمتها فى الانتاج وتنمية المجتمع ، إذ أن كل دراسة تثير جانبًا من المسألة وبالتالى تحوى جزء من الحقيقة .

11- شفيق الغبراء،معوقات البحث فى العلوم الاجتماعية العربية،مرجع سابق،ص٢٠٩.

12- شفيق الغبراء،معوقات البحث فى العلوم الاجتماعية العربية،مرجع سابق،ص٢١١.

❖ الدراسات الاجتماعية والإنسانية وفاعليتها فى تنمية المجتمعات العربية:

لقد تعرضنا فى هذه الورقة إلى واقع الدراسات الاجتماعية والإنسانية وخلصنا إلى أنها تعانى كثير من الإشكاليات والمعوقات مما يستوجب القيام بعدد من الإصلاحات لإعادة الاعتبار وذلك بالعمل على إشراك كل مكونات المجتمع في الإصلاح بهدف البلوغ إلى تنمية شمولية تستنهض كل القطاعات وليس نمواً يختص بقطاع معين بذاته.

إن الدراسات الاجتماعية والإنسانية ، سلاح ذو حدين إذ ليس المطلوب محاربتها وأخذ موقف سلبى منها فهى فى أغلبها جزء لا يتجزأ من نمو المجتمع ، والمطلوب أن نتغلب على اشكالياتها ،ومعوقاتها بمعرفة أسبابها ومظاهرها ، إن الصراع من اجل الحرية الأكاديمية ومن أجل تفهم المجتمع ومحاولة أحداث التغير الموجه والمقصود لن يكون صراعا قصيرا . لهذا حان الوقت للباحثين فى الدراسات الاجتماعية والإنسانية أن يتحركوا لشرح طبيعة علومهم وأبحاثهم وأن يعيدوا النظر فى كثير من الأمور سواء منها ما يتعلق بالمداخل والقوالب النظرية الكلاسيكية والحديثة والتى تعبر عن واقع المجتمعات الغربية التى تختلف اختلافاً جوهرياً فى ظروفها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والبيئية عن تلك الظروف التى تعيش فيها مجتمعاتنا العربية ، ومن ثم فإن رؤيتنا لمستقبل الدراسات الاجتماعية والإنسانية تنطلق من :

- الابتعاد عن المحاكاة والتقليد:

إن الأزمة التى تعيشها الدراسات الاجتماعية والإنسانية هى أزمة انطلاق وليست أزمة نمو ، لأن هذه الدراسات تفتقر إلى تصور علمي واضح تجمعه علاقة بالواقع الفعلي لما يعانيه الفرد إنها أزمة الابتعاد عن الواقع المحلى ، والسؤال الذى يطرح نفسه هو ما موقف الدراسات الاجتماعية و الإنسانية من مسألة الاتجاه نحو المحلية ؟ و لماذا التعلق بما هو مطبق فى الغرب؟ إنها الأزمة الناتجة عن الإنفصام التام بين ما يوجه فكرنا من ضوابط نظرية غربية المنشأ وما نسعى الوصول إليه من وضع تصور لدراسات اجتماعية إنسانية لبيئتنا العربية.

-الإيمان بالحرية الأكاديمية لانتعاش الدراسات الاجتماعية والإنسانية:

فحسب رأى" ديكنسون "فإن الحرية الأكاديمية هى أن يكون الباحث الأكاديمى بمأمن من أى نوع من أنواع الإزعاج بسبب مخالفته القائمة على أسس معقولة للحكمة أو الآراء

المقبولة لدى زملائه ونظرائه ورؤسائه أو المؤسسة أو المجتمع ، ولا شك أن أحد أهم هذه الوسائل لحماية الباحثين مرتبط بدور كبير للباحثين لا في شرح قضيتهم ،ودورهم ،وعلومهم فحسب ، بل أيضا في إنشاء هيئات مهنية تدافع عنهم ، أى يكون لهم حقوق واضحة ومكفولة [١٣].

- ضرورة اختيار القضايا في الدراسات الاجتماعية والإنسانية:

يقع على الباحثين العرب مسؤولية إجراء الدراسات الجادة الهادفة والقادرة على مخاطبة الواقع وأبعاده ، فيعتبر التفكير في موضوع الدراسة هو الانطلاقة الحقيقة أمام التغير السريع الذى يشملنا ، فالحقيقة الثابتة التى لا تتغير أن هناك تغير ، وهذا التغير يشمل كل من الجامد والحى ، عليه ضرورة الاهتمام فى الدراسات الاجتماعية والإنسانية باختيار موضوع محدد مع إلالمام بمتغيراته، والنظر إليه من جميع الزوايا فليس بالضرورة أن يكون موضوع الدراسة مرضى أو سلبى قد يكون ايجابي ولكنه يدور حول قضية تتحدى تفكير الباحث ويحاول الباحث إزاحة الغموض الذى يحيط بها ويفضل أن تكون الدراسات الاجتماعية والإنسانية ميدانية لأنها تجيب عن تساؤلات واقعية وتبعدنا عن النظرة التقليدية ، فالميدان له أهميته بحيث يكون له ارتباط وثيق بالذات الإنسانية ،وتفاعل دائم مع الأحداث المعيشة وبالتالي هو ما يجب دراسته وفق شروط تقنية تتأسس على استكشاف الميدان ودراسة الظاهرة والبحث عن خصوصياتها[١٤]. فالدراسات الاجتماعية والإنسانية هى واحدة من الأسلحة القادرة على إغناء كل من الدولة و المجتمع عن بعضهما البعض وعن البيئة المحلية والإقليمية والدولية لذلك من الصعب انتقال الدراسات الاجتماعية والإنسانية العربية إلى حيز الفعل دون أن ترتبط بالتحديات والمشكلات المجتمعية الاقتصادية والسكانية ،والسياسية التى تواجه البلاد . بل لن تنجح أية محاولة لبناء دراسات إجتماعية وإنسانية عربية دون الربط بين المشكلات الإنسانية وعلاجها وبما ان المجتمع العربى مرشح لأن يستعيد دوره فلابد

---

13 – مصطفى ناجى،علم الاجتماع فى العالم العربى بين المحلية والدولية ،مجلة العلوم الاجتماعية ،الكويت المجلد الخامس عشر،العدد الثانى ١٩٧٨م ،ص ١٣

14–.جودة سعادة،دراسة مقارنة لاتجاهات المشرفين والمعلمين نحو الدراسات الاجتماعية،مجلة العلوم الاجتماعية ،المجلد الخامس عشر،العدد الرابع ،الكويت،١٩٨٧م،١٦٣.

لهذه الدراسات من مبادرتها واستراتيجياتها فهى جزء لا يتجزأ من النهوض المجتمعى ، وهذا النهوض هو الذى يعبر عن سعى المجتمع نحو صياغة مستقبل الدراسات الاجتماعية والإنسانية .

* دور الباحث الاجتماعي والإنساني فى الدراسات الاجتماعية والإنسانية:

هل يمكن تسمية كل من درس العلوم الاجتماعية والإنسانية ونال شهادة فى هذا التخصص " عالم اجتماع ؟

كلا فعالم الاجتماع يكون على الأقل إحدى الفرق الثلاث على حد تعبير "الان توران" " إما أن يتوجه إلى قلب الحياة الاجتماعية والصراعات وبذلك يقدم ما هو مهم بالنسبة للمعرفة ،وإما أن يحارب بلا هوادة السلطة وخطابها وفئاتها ويحارب كذلك قمعها وتهميشها ،أو يكون ممن يسترقون السمع من الذين لا يتكلمون وينظر مع الذين فقئت أعينهم ، بمعنى أخر يعلمنا مشاهدة الذين بيننا ولكنهم مطعونون من قبل التنظيم الاجتماعي [١٥] كما أن التحولات العالمية التى يمر بها المجتمع الدولى الآن سوف تفرز مشكلات كثيرة خلال العقود القليلة القادمة خصوصا مع الأحداث الدامية ولا شك أن مجتمعاتنا متأثرة بشكل مباشر آو غير مباشر بما يجرى حولها الأمر الذى نتوقع معه ظهور مشكلات جديدة ، وتنامى المشكلات الحالية بما يتناسب وحجم التغيرات العالمية والمحلية والإقليمية ، وفى ظل هذه التغيرات على الباحثين العرب فى الدراسات الاجتماعية والإنسانية أن يوجهوا الأنظار إلى أهمية وضرورة التصدى لهذه المشكلات والحد من خطورتها ، وأن يطردوا التقاعس ويتسلحوا بالموضوعية التى تسمح لهم باختراق الحواجز المعوقة للبحوث والدراسات الاجتماعية والإنسانية وعليهم أن يتعلموا كيف ينشئوا المراكز العلمية المستقلة والممولة ذاتيا ، فالدراسات الاجتماعية والإنسانية لن يكون لها مخرج إلا عبر دور مميز للباحثين ، فهم من ستقع عليهم مهمة تمهيد الطريق اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وفكرياً وتنظيمياً وإدارياً لدعم و الارتقاء بالدراسات الاجتماعية والإنسانية. [١٦]

---

[15]-عبد الرزاق جلالى،علم الاجتماع بين الالتزام و الأدائية، مرجع سابق،،ص ٨٣

[16]- سعيد ناصف تصميم البحوث الاجتماعية،مضر ،مكتبة زهراء الشرق ، ١٩٩٧ م ،ص ٢٥٣

وعليهم أن يتعلموا كيف ينشئوا المراكز العلمية المستقلة والممولة ذاتياً ، فالدراسات الاجتماعية والإنسانية لن يكون لها مخرج إلا عبر دور مميز للباحثين ، فهم من ستقع عليهم مهمة تمهيد الطريق إجتماعياً وسياسياً واقتصاديا وفكرياً وتنظيمياً وإدارياً لدعم الارتقاء بالدراسات الاجتماعية والإنسانية .

التوصيات:

توصى الدراسة بالآتى:

١- إعادة النظر في كل تلك المسلمات النظرية ،والنظر اليها بشكل نقدى وموضوعى.

٢- على العلماء الاجتماعيين العرب مسؤولية اختيار القضايا فى الدراسات الاجتماعية والإنسانية الجادة الهادفة والقادرة على مخاطبة الواقع وأبعاده .

٣- التركيز على تكثيف الدراسات الواقعية الميدانية الهادفة لتشخيص هموم المجتمع العربى تشخيصا دقيقا يهدف لوضع الحلول ووصف العلاج وهى من مسئولة الباحثين الاجتماعيين ومن ثم صانعى القرار.

٤- ضرورة اعتماد منظومة قيميه تعكس امتداد التراث المتغير وتستوعب أفضل العناصر الفكرية التى تتصل بمصالح الاغلبية من أفراد المجتمع.

٥- تمهيد الطريق اجتماعيا وسياسياً واقتصادياً وفكرياً وتنظيمياً وإدارياً لدعم و الارتقاء بالدراسات الاجتماعية والإنسانية.

٦- انشاء المراكز العلمية المستقلة والممولة ذاتيا والتى على علاقة بالمراكز المختلفة على جميع المستويات المحلية والإقليمية والقومية العالمية.